حضور جماهيري مدهش على مدار ليلتين

«حارة البخت» تجدد بخت المسرح العماني

قدمت فرقة تواصل المسرحية عرض حارة البخت، ومع العرضين المقدمين على مدار ليلتين أهدت المسرح العماني حياة جديدة بمجموعة شرايين يحتاجها لتوضيح أنه ما زال حيا، وعطاؤه ممكنا بهكذا حيوية لو وجد من يخلص له.

رؤية يكتبها : محمد بن سيف الرحبي

«حارة البخت» قالت إن المسرح الكوميدي ممكن جدا تقديمه على الخشبة وينال جماهيرية أكبر من تلك العروض المقدمة في المهرجانات المسرحية وما يعرض فيها من مبكيات ظل مسرحنا أسيرا لها، بكاء الممثلين وتشنجهم والحركات العنيفة على الخشبة إضافة إلى طغيان اللون الأسود، على مستويي الصورة والنص، والأكثر حضورا ذلك الدخان الذي لا يخلو منه عرض مسرحي على الأغلب.

في عرض «حارة البخت» امتلأت الكراسي بالحضور، نحو ثمانية آلاف شخص حضروا لمدة يومين يتابعون ما يشكل حالة مسرحية افتقدناها كثيرا، حيث يمكن قول أشياء جادة عبر الكوميديا، وهي عودة للمتألق مالك المسلماني مؤلفا ومخرجا بعد مسرحيته «دمدم» قبل نحو ثماني سنوات تقريبا، وكانت من أجمل المسرحيات التي شاهدتها، رغم قسوتها في نقد الأوضاع، لكن ما كان قبل عام ٢٠١١ مختلفا عمّا بعده، وهكذا استفادت «حارة البخت» من ارتفاع سقف الحرية لتقدم عرضا جريئا، لم يتطاول على أحد، ولم يسئ، بل قدم عرضا فرجويا مليئا بالإشارات والرسائل المبطنة، دون ذلك التسطيح، أو البكائيات المملة.

وقد يبدو وقت العرض أطول من اللازم، وما يحتاجه ذلك من ممثلين أصحاب خبرة طويلة وكاريزما هائلة على الخشبة، إلا أن عرض حارة البخت أوجد علاقة مع جمهوره أبقته معظم

وقت العرض، ما عدا بعض الانسحابات، وما عدا عدم تهيئة المسرح المفتوح بالجامعة لهكذا عروض كبيرة، فقد تعذّر عليّ (شخصيا) متابعة كافة الممثلين على الخشبة بسبب بروتوكولات تخصيص كراس كبيرة لبعض الشخصيات، وكنت خلفها مباشرة، بينما المسرح يفترض المساواة بين حضوره..

حقق العرض نجاحه الأول في تقديم مسرحية كوميدية واسعة الخطوط على أيدي شباب أغلبهم ليس معروفا في الوسط الفني، عدا النجم عبدالحكيم الصالحي، وقال إن صناعة مسرح جماهيري، ويجد دعمه من المتفرج الذي يدخل بتذكرة، ممكنة، وأن تقديم عرض هادف لا تصادره الرقابة ممكن أيضا، وأن الجرأة لا تعني الخطابة وإعلاء الصوت بصخب فارغ، لأن الفن ليس منبرا سياسيا أو دينيا أو حتى اجتماعيا، بل فرجة تصنع أسئلتها، وجمالا يقدم الإنسان بكل ما فيه من صخب داخلي على خشبة يقف أمامها بشر آخرون ينتظرون أن يروا أنفسهم وقضاياهم، ولكن ليس كما يواجهونها، بل كما يفكرون بها، ليجدوا القوة الداخلية، ولو بالسخرية من هذه القضايا، لتكبر الذات فوقها، فتنتصر.

مثّل رجال الحارة فوضى الناس وعلاقاتهم البسيطة بصورة كاريكاتيرية، من خلال مجموعة من الشباب القادرين بخفة ظل عفوية، وتعكس أيضا طول المران في بروفات المسرحية قبل العرض والتي امتدت نحو ثلاثة أشهر، هذه العفوية التي مكّنت الممثلين من تجسير الهوّة المعتادة بين الممثل والمتلقّي، حيث الشعور الدائم بأن الممثل يقف لتسميع ما حفظه أكثر من إقناعنا بأنه شخصية مكتملة البناء لا تشبهه وهو يقدم ما يتوجب عليه قوله.

حمود حقمه، الذي جسد دوره باقتدار إسماعيل الرواحي شكّل حالة فنية مدهشة، بخفة الحركة وعفوية الأداء وملأ الخشبة حيوية، وكذلك أداء سالمين (محمد الضبعوني) مع المجاميع القادرة على بثّ حركتها بإتقان كحارسة للحارة (وحاسدة) لما يحدث فيها من نعيم بسيط يصيب أحدهم.. ومع حالة الضحك والحياة الساخرة، وحمدون السكران (سليمان الرمحي)، توجد ضمن الديكور تلك البئر القادرة باتساع دائرتها أن تكون حلا متاحا لمن يرغب في الغرق.

في أعلى ديكور المسرح تقف «حمامة» التي جسدت دورها باقتدار الممثلة تاج محمد نور، بينما هناك ثلاث نساء لكل شخصية منها ملامحها التي لا تتشابه مع الأخريات، بدور (وفاء البلوشية) الفتاة ابنة، سالمين (محمد السعيدي) الرجل الملقب بالزعيم (أقرب

للسخرية) وهي العاشقة التي يريدها صالح (سامي البوصافي) وينافسه الشاب الثري ينال (أحمد السيباني) الساعي للزواج منها، وميسون (زمزم البلوشية) بحركتها الكاريكاتيرية ذهابا وإيابا، المرأة الريفية في جوهر ذاتها ومشاغل حياتها، تفقد شاتها (الصخلة) التي أكلها القوم حيث استطاعت (حمامة) أن تطعم أهل الحارة من طعامهم، شاة ميسون، مع امتنانهم لحمامة، حينما نزلت من عليائها، أملا في تذكرة الحظ، وقد أوهمتهم أنها الفائزة بها، تاركة الوهم والإفلاس لأهالي الحارة وهم ينشدون في كل مرة أن يكون الحظ من حليفهم لعل الثراء يأتي على طبق من ذهب، ويتخيل حمود حقمة ماذا يمكنه أن يفعل بالمبلغ لو كان من نصيبه، إلى درجة أنه أراد أن يعمل في تجارة المواد الغذائية الفاسدة، لكنه عدل ذلك لأن المنافسين له كثر!!

حارة البخت، الانتظار الدائم للبخت الذي لا يأتي، وإن اقترب فهناك الذكي القادر على خطفه من بين أيدي الناس البسطاء، والذين يتواطأون معه لينالوا الفتات راضين به..

هو العرض الذي قدم العقدة المسرحية ببساطة متناهية، استمتع بها آلاف من الحضور ليكون التحدي أمام المسرح العماني واضحا: النجاح ممكن فاقتربوا من الناس، والنجاح متاح فاخلصوا لأبي الفنون.. أولا وأخيرا.

والفن متعته ممكنة جدا، شرط أن لا يكون رديفا للسوداوية التي تمسكت بها مهرجاناتنا المسرحية، كانت للكبار أو ضمن فعاليات الجامعات والكليات، فالكوميديا السوداء أجمل الفنون ببياض المعنى، والأسئلة التي تبقيها في الذهن حاضرة.

وان إنتاج أعمال مسرحية على مستوى كبير يستحق التضحية من أجله، فكاتب النص الجيد متوفر، والمخرج أثبت قدرته، أما الممثلون فإن حارة البخت قدمت مجموعة منهم، كل فرد فيهم كان بطلا حقيقيا.